



المعهد المصري للدراسات
EGYPTIAN INSTITUTE FOR STUDIES

القوة في العلاقات الدولية دراسة تأصيلية

شيماء عويس

دراسات
سياسية

٥ أكتوبر ٢٠١٨



TURKEY- ISTANBUL

Bahçelievler, Yenibosna Mh 29 Ekim Cad. No: 7 A2 Blok 3. Plaza D: 64
Tel/Fax: +90 212 227 2262 E-Mail: info@eis-eg.org



WWW.EIPSS-EG.ORG

f Eipss.EG t Eis_EG

القوة في العلاقات الدولية: دراسة تأصيلية

شيماء عويس أبوعيد

يمثل مفهوم القوة حجر أساس في العلاقات الدولية، خاصة مفهوم القوة بشكلها الصلب والعنيف، فالقدرة العسكرية إحدى أبرز مقومات قوة الدولة، سواء كانت هذه القوة تستخدم بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق التهديد أو منع المعونات... الخ، وقد بذل المجتمع الدولي جهودا هائلة من أجل تنظيم والسيطرة على استخدام القوة العسكرية، من أجل خلق مجتمع متحضر ومتطور، وأيضا لمنع جرائم عنيفة ومذابح شديدة العنف خاصة بعد تطور أسلحة الدمار الشامل.

ومع التطور العلمي والاقتصادي لم يعد مقبولا أن تكون القوة العسكرية هي العنصر الحاكم فقط في العلاقات الدولية أو حتى داخل النظم السياسية ذاتها، بل وجب إحداث تغييرات على المفهوم ليتواءم مع متغيرات النظام الحديث، خاصة مع ظهور الانترنت وانتشار المعلومة وتأثيرها الجلي على إحداث تغييرات في القيم السياسية وتوجهات الفاعلين من الدول والفاعلين من غير الدول.

وفي إطار الاعتبارات السابقة، تم تقسيم الدراسة إلى ثلاثة مطالب أساسية، وذلك على النحو التالي، المطلب الأول: مفهوم القوة وخصائصه، المطلب الثاني: الفرق بين القوة الناعمة والقوة الذكية، المطلب الثالث: القوة الالكترونية وتفاعلات الدولية.

المطلب الأول: مفهوم القوة وخصائصه:

تتعدد الصور التي تتخذها القوة وتتغير وفقا لطبيعة وشكل النظام القائم، فالقوة هي حجر اساس لأي تنظيم سياسي. تُعرف القوة السياسية بأنها "عبارة عن ضبط للقرارات السياسية في الدول من قبل القوى الاجتماعية التي تسيطر على إدارة الدولة"، كما تُعرف أيضا بأنها "القدرة على التأثير في الآخرين للحصول منهم على نتائج محددة، يسعى الطرف الذي يقوم بعملية التأثير للحصول عليها". أعتبر (ميكافلي) القوة من العناصر الأساسية لقيام الدولة، فأكد على أن وجود أي دولة أو مؤسسة أو منظمة يعتمد بالدرجة الأولى على القوة؛ لأنها المصدر الوحيد للمحافظة على ديمومتها وتوسعتها فالدولة بنظره قوة توسعية، وحظي هذا الرأي بالتأييد من قبل هوبز وبودان وأيده بشدة الأسقف (بوسويه) الذي يعتبر القوة حق من حقوق الدولة لأنها تمثل الحق الإلهي المطلق، وبذلك لها الحق في

ممارسة القوة لأن الدولة حسب رأيه صاحبة الفضل في توفير الأمن والرخاء للفرد ومن هنا اكتسبت حق استعمال القوة، ويؤيد هذا الرأي أيضا أصحاب المدرسة الفردية وكان دليلهم في ذلك أن سيادة الأقوياء من طبيعة المجتمع عبر كل الأزمنة. أما ابن خلدون الذي سبق هؤلاء جميعا فقد تعرض لهذا المفهوم في مقدمته عندما قسم القوة السياسية إلى عدة أنواع وأكد على ضرورة القوة في وجود الدولة والحفاظ على استمرار الحكم، واعتقد أن القوة السياسية تتمثل في الاستبداد والتأثير والأغراء. عرف لازويل وكبلان Kaplan & Lass well القوة بإنها المشاركة في صنع القرار^١. بينما يرى بلاو Blau أن " القوة هي قدرة أشخاص أو جماعات على فرض إرادتهم على الآخرين"^٢. كما عرفها هانز مورجنثاو " القدرة على التأثير في سلوك الآخرين يقومون بأشياء متناقضة مع أولوياتهم، ما كانوا ليقوموا بها لولا ممارسة تلك القدرة"^٣، موضحاً أن القوة السياسية هي علاقة نفسية بين من يمارسونها وبين من تُمارس ضدهم، فهي تمنح الوليين سيطرة على بعض ما يقوم به الآخرون من أعمال من طريق النفوذ الذي يمارسونه على عقولهم، وقد يُخذ ذلك بأسلوب الأمر، أو التهديد، أو الإقناع، أو بمزيج من بعض تلك الوسائل معاً^٤. نخلص

^١ نظرية القوة أو الغلبة عند ابن خلدون: تؤكد نظرية القوة والغلبة على أن الدولة نشأة نتيجة للعنف والقوة، وأنها أداة تستخدم داخل المجتمع مع الشعب للردع، وخارج المجتمع لفرض هيبة الدولة وحماية حدودها، والدفاع عنها. فتبرر النظرية أن استخدام القوة هو مبدأ طبيعي وضروري في الحياة، فالقوة بين جميع الكائنات الحية، والعشائر، وبين الدولة والأمم في حروبها، أيضاً لها استخدام إيجابي لفض النزاعات، أما عن الجانب السلبي في النظرية فقد أكدت أن كل الدول لا تقوم إلا على القوة والعنف، إلا أن هناك نظرية أخرى أتت بعكس ما قالته نظرية القوة والغلبة، وهي نظرية العقد الاجتماعي التي ترى بأن الدولة تنشأ على أساسين هما: الاتفاق الواقع بين المجتمع ويتلوه عقد أبرمه أعضاء من المجتمع على إنشاء دولة، وعلى الرغم من أن نظرية العقد الاجتماعي أتت بما لم تأتي به نظرية القوة والغلبة إلا أنها قامت على أساس الافتراض وليس الحقيقة، فيستحيل وجود مجتمع يتفق فيه جميع أعضائه على إبرام العقد لذا اعتبرت أنها تميل إلى المثالية، كما أن البعض يرى أن نظرية العقد الاجتماعي قائمة على فكرة التنازل، فموجبة يتنازل الأفراد عن جزء من حقوقهم مقابل التمتع بمميزات المجتمع السياسي. للمزيد برجاء الرجوع للمرجع التالي: مقدمة بن خلدون، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥)، ص ٢٢٠.

^٢ محمد عمار، "نظرية القوة في المفهوم السياسي"، ٢٠١١

<http://eraphilosophers.blogspot.com.eg/2011/03/blog-post.html>

^٣ مصطفى الخشاب، " تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية"، (القاهرة: لجنة البيان العربي، ١٩٥٣)، ص ٧٥ : ٨٤

^٤ Hans J. Morgenthall, Politics Among Nations (New York: Alfred A. Knopf, 1948) p: 140

^٥ Niculae Tabarcia, "Power Relations between Realism and Neo-Realism in Hans Morgenthau's and Kenneth Waltz's Visions", Strategic Impact, No4, April, 2009.

من هذه التعريفات كلها أن القوة هي علاقة خاصة بين طرفين، علاقة يستلزم أن يكون أحد الطرفين فيها على قدر أكبر من الإمكانيات، ما يتيح له بعض التفوق في السلطة والسلطان، وإلا فلن تتوفر للقوة فعاليتها وسوف تتحول إلى عملية أخرى فيما نسميه الصراع.

كما تناول العديد من المفكرين السياسيين مفهوم القوة بعدة رؤى، فكل منهم يرى القوة بمنظوره الخاص، ففي فلسفة هيجل Hegel مجد القوة وجعل الدولة فوق متناول القانون، فأخضعت الفرد للدولة خضوعاً كاملاً. كما أضفى على الدولة القومية قيمة عالية، لأن الدولة عنده تشكل الوحدة المهمة والأساسية في النسق الهيجلي. فالدولة هي تجسيد السلطة السياسية، وسلطة الدولة مطلقة ولكنها ليست تحكيمية إذ لا بد أن تُمارس سلطاتها التنظيمية في ظل القانون.^٦ القوة بالمنظور الماركسي تختلف عن الفلسفة الهيجلية، فقد اختلف في رؤيته للغاية عن من سبقوه حيث يرى ماركس Karl Marx ان القوة تعبير اجتماعي، حيث تمثل القوة عنده في الصراع الاجتماعي لصالح الطبقة العمالية، وإن وصول الطبقة العمالية إلى إدراك قوتها السياسية ومدى نفوذها وتأثيرها على البناء الاجتماعي في الدولة هو القوة، وذلك ما عبر عنه ماركس بقوله: "إن التاريخ الاجتماعي يبلغ الذروة بقيام البروليتاريا وهي الطبقة العاملة التي ليس لها إلا سواعدها وسيلة للكسب في الحياة".^٧ ولذلك تطلع ماركس إلى نمو وسيطرة الطبقة العمالية لكي تكون لها مكانة مهيمنة في المجتمع الحديث.

^٦ ذهب هيجل في وصفه للدولة الى حد اعتبارها اكتمال لمسيرة الاله على الأرض، أي كما تم تفسير هذا البعد في وصف هيجل وروح له بأن سلطة الحاكم في الأرض مستمدة من سلطة الله في السماء، والى أن الدولة هي قوة العقل المحقق لذاته، وأن واجب الفرد الأسمى هنا هو أن يكون عضواً في الدولة، تترتب عليه واجبات تجاهها، وله حقوق مستحقة عليها. تمثل القوة عند هيجل قوة القانون " القانون لا يمكن أن يصبح واقعاً معاشاً على الأرض وموضع احترام أفراد المجتمع بكل طبقاته من دون وجود قوة تسنده وتدعمه وتفرض سيطرته وسلطته واحترامه على المجتمع وتتحكم بسلوكيات الأفراد لكي يكون مفيداً، أي بمعنى أن القانون لا يمكن له أن يعيش إلا بمعية القوة، وهو والقوة توأمان يرتبطان بعلاقة عضوية جدلية تكاملية لا ينفصمان ولا يمكن لأحدهما أن يعيش وينتج خيراً للمجتمع أو يقلع منه جذور الشر من دون وجود الآخر بمعيته، لأن القوة بكل أشكالها هي جوهر القانون وأداته لتحقيق العدالة والمساواة والأمن والأمان والاستقرار في المجتمع ومن دونها يولد القانون ميتاً " للمزيد برجاء الرجوع للمرجع التالي :

د. عبد الرحمن بدوي، فلسفة القانون والسياسة عند هيجل، القاهرة: دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، ص ص ١١٥ : ١٢٠.

^٧ فلاديمير لينين، الدولة والثورة تعاليم الماركسية حول الدولة مهمات البروليتاريا في الثورة، (موسكو، الطبعة الثانية ١٩١٧)، [نسخة الكترونية](#)

بينما يرى ستيفن لوكس أن " القوة مرتبطة بتحديد الأجندة، للتأثير في سلوك الدول، ومن ثم لا تعني القوة بالضرورة الإكراه".⁸ مع تجاوز مفهوم القوة الجانب العسكري ليشمل مضمونه جوانب أخرى متعددة للقوة مثل القوة السياسية والاقتصادية والثقافية والتكنولوجية إلخ. ولكن مهما تعددت مصادر القوة لا تكتسب وزناً إلا بامتلاك القدرة والمقدرة لتحويل مصادر القوة المتاحة إلى طاقة مؤثرة وسلاح فعال، ولذلك عرفها روبرت دال " بأنها القدرة على جعل الآخرين يقومون بأشياء ما كانوا يقومون بها لولا ذلك".⁹

التدخلات المباشرة

- استخدام الحرب العسكرية والقوة العسكرية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة مع دولة أخرى

التحالفات الجماعية

- تحالفات سياسية عسكرية كالحلف الاطلسي وتحالفات اقتصادية مثل الاتحاد الاوربي

التدخلات الغير مباشرة

- مثل الحروب الغير معلنة ،والمتمثلة في العقوبات الاقتصادية والسياسية

شكل رقم (1) المظاهر المنظمة لاستخدام سياسة القوة في العلاقات الدولية

⁸ Steven Lukes ،Power: A Radical View (n.p.: British Sociological Association ،1974) p: 14.

⁹ Robert Dahl ،The Concept of Power ،Behavioral Science ،Vol. 2 ،July 1957 ،p. 202

وبناء على ما سبق ان تحويل الموارد إلى قوة يتم استخدامها بكفاءة وفاعلية عامل مهم جدا في العملية السياسية، ويعتمد على إرادة سياسية وتفكير منظم، والمتابع لبعض الحالات التاريخية نجد أن الحروب قد تحددت ليس بالقدرات والإمكانات فقط وإنما بوجود قيادة سياسية حاكمة متزنة وثقافة سياسية لها دوراً حاسماً في المجال السياسي، كما ترتبط السياسة بشكل وثيق مع القوة، وهذا ما يميزها عن سائر الأنواع الأخرى من النشاط الإنساني. وعليه، نستطيع أن نحدد ثلاثة اتجاهات أساسية لتعريف القوة كالتالي^{١٠}:

الاتجاه الأول: يعرف القوة بأنها القدرة على التأثير في الغير، وحمل الآخرين للخضوع لمصالح مالك القوة.
الاتجاه الثاني: يعرف القوة بأنها المشاركة الفعالة في صنع القرارات المهمة في المجتمع.

الاتجاه الثالث: يجمع بين الاتجاهين السابقين، يعرف القوة بأنها التحكم والسيطرة المباشرة أو غير المباشرة لدولة أو جماعة معينة على إثارة القضايا السياسية أو عملية توزيع القيم ويترتب عليه التأثير في الموقف لصالح الاتجاه الذي يفضله صاحب القوة .

خصائص القوة:

القوة مفهوم حركي ديناميكي غير ثابت، يتكون من عناصر متغيرة مادية أو غير مادية مترابطة مع بعضها البعض، كما أن القوة شيء نسبي تقيس قوة الدولة بالمقارنة بقوة الدول الأخرى، وأحيانا توجد بعض الدول الصغيرة التي تمتلك قوة تجبر الدول الكبرى على تغيير سياستها وفقا لسياسة الدولة الصغيرة^{١١}. ويمكن أن نحدد خصائص القوة بعدة نقاط وهي كالتالي^{١٢}:

١. القوة وسيلة لممارسة النفوذ والتأثير، ويهدف لتحقيق مصالح الدولة، سواء كانت مصالح قومية أو حضارية أو حماية الأمن القومي.....الخ
٢. يتغير وزن قوة الدولة وفقا لقدرتها على تحويل مصادر القوة المتاحة أو الكامنة إلى قوة فعالة.

^{١٠} محمد ربيع، صبري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، (الكويت :جامعة الكويت، ١٩٩٦)، ص ص ١:٢

^{١١} تلاشت قوة الولايات المتحدة الأمريكية أمام شعب فيتنام مع أنها تملك أسلحة دمار شامل، ولكن خشيت من استخدامها خوفاً من رد فعل الصين الشعبية والاتحاد السوفيتي مما دفع صانع القرار الأمريكي إلى حصر المجهود الحربي في أسلحة تقليدية..

^{١٢} فريد ميليش، القوة وأهميتها في العلاقات الدولية، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سلسلة العلوم الاقتصادية والقانونية المجلد

٣. تتصف القوة بندرتها لذلك تحرص الدول على ما تمتلكه وتحاول عدم تشتيت جهودها.

٤. القوة بطبيعتها شيء نسبي تقاس قوتها بالمقارنة بقوة الدول الأخرى.

٥. تتدرج ممارسة القوة بين التأثير بالطرق الدبلوماسية من جهة، وبين أسلوب الإكراه والقهر من جهة

أخرى، واللجوء إلى القوة غالبا يكون نتيجة العجز للوصول لحلول بالطرق السلمية.

مع تطور البيئة السياسية الدولية وتعاضم آثار القوة الصلبة سواء على المستوى المادي أو البشري، أصبحت تكلفة استخدام القوة العسكرية غير مقبولة تماما، بل أصبحت عبئا اقتصاديا، ومصدر نزيف بشري ومادي يؤدي لانهايار الدولة، فالدول تسعى لجعل مواطنيها يستمتعون بمستوى عال اجتماعيا واقتصاديا، والدخول بالحروب يمنع حدوث هذا. لذا كان هذا دافع للبحث عن بديل للقوة الصلبة، والعمل على تحويل الموارد والامكانيات إلى قوة سهل توظيفها بأقل خسائر ممكنة، ونتيجة لتغير مفهوم القوة في النظام الدولي الحالي من عسكري إلى اقتصادية ترتب عليها ما يلي^{١٣}:

١. أصبحت هناك دول بالرغم من امتلاكها قدرات عسكرية فائقة إلا أنها أمنها مهدد مثل روسيا.

٢. دولة لا تمتلك قدرات عسكرية كبيرة لكن أمنها غير مهدد مثل اليابان .

٣. لم تعد التحالفات عسكرية كما كان في السابق، بل أصبحت تحالفات اقتصادية مثل: الناftا، والاتحاد الأوروبي..... الخ، كما سيطرت صناعات الأنفوميديا والاتصالات الالكترونية على الاقتصاد العالمي الجديد، حيث تعد من أكبر الصناعات العالمية ويبلغ رأسمالها أكثر من 3 تريليونات دولار.

٤. تزايد الاعتماد المتبادل بين الدول، وتنامي دور الشركات متعددة الجنسيات وتعاضم تأثيرها على الصعيد العالمي.

٥. عولمة بعض المشكلات وخروجها من نطاق الدولة الواحدة مثل قضايا: الفقر والبطالة والتخلف والتلوث البيئي.

٦. تراجع مكانة الدولة في العلاقات الدولية بسبب بروز فاعلين أقوياء في ساحة العلاقات الدولية مثل: المنظمات

الدولية والإقليمية وغير الحكومية..... الخ، بالإضافة إلى التحول في سلوك المنظمات الدولية التي كانت في

^{١٣} فريد ميليش، مصدر سابق، ص ١٦

السابق عبارة عن مؤسسات تابعة ، أما الآن فلها وجود مستقل عن إرادة الدول المنشئة لها، ومثال على ذلك إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٩١ المؤيد للتدخل الإنساني من دون طلب أو موافقة الدولة المعنية بذلك. ومن هنا ظهر لنا مصطلح القوة الناعمة علي يد جوزيف ناي عام ١٩٩٠ والذي قدمه في مقالته "Soft Power" ، لكي يتلاءم مع طبيعة البيئة الجديدة للعلاقات الدولية التي يتزايد فيها حجم العلاقات الاقتصادية والسياسية، مما يجعل هناك خطورة كبيرة لو تم استخدام القوة العسكرية بشكلها السابق. لذلك قدم ناي مفهومه مستهدفاً به القوة الأمريكية بالأساس وكيفية تعاملها مع المجتمع الدولي في هذه الحقبة الجديدة.

مفهوم القوة الناعمة:

عرف ناي القوة الناعمة بأنها " قدرة الدولة على الحصول على ما تريده بالاعتماد على الجاذبية بدلاً من الإكراه"^{١٤}. فالدولة تستطيع تحقيق الأهداف عن طريق الترغيب وليس التهيب، عن طريق نموذج الاقتداء المتمثل في المصادر المعنوية أو الغير مادية كالقوة والثقافة والايديولوجية...الخ

كما تعرف القوة الناعمة كذلك بـ "Co-optive power" وهي " تعني قدرة الدولة على خلق وضع يفرض على الدول الأخرى أن تحدد تفضيلاتها ومصالحها وفقاً لدولة مالكة القوة الناعمة" ، بمعنى آخر هو وضع أولويات الأجندة الداخلية لغيرها من الدول^{١٥}. تعتمد القوة الناعمة على عنصرين أساسيين هما المصادقية والشرعية كقاعدة لها^{١٦}. حدد ناي ثلاث مصادر للقوة الناعمة لدى الدول هي^{١٧}:

- الثقافة: والتي تكمن في جاذبيتها للآخرين.
- القيم السياسية : والتي تترسخ في النخبة الحاكمة والمحكومة.

¹⁴ Joseph S. Nye ،Soft Power: The Means To Success In World Politics (New York: Public Affairs ،2004) p: 2.

^{١٥} يمنى سليمان، القوة الذكية - المفهوم والأبعاد دراسة تأصيلية، المعهد المصري للدراسات السياسية والاستراتيجية، سلسلة دراسات سياسية، ١٢ يناير ٢٠١٦، ص ٥

¹⁶ Joseph S. Nye Jr. ،"The Velvet Hegemon ,"Foreign Policy ،No. 136 (May – Jun. ،2003) ،Published by: Washingtonpost.Newsweek Interactive ،pp. 74-75. <http://www.jstor.org/stable/3183627>

¹⁷

■ السياسة الخارجية : والتي ينظر إليها من مختلف الفواعل الدولية على أنها شرعية و أخلاقية. يرى ناي أن الثقافة هي نسق من القيم والممارسات التي تخلق معنى للمجتمع، فإذا تبنت الدولة في سياسات وثقافات وقيماً عالمية يشارك الآخرون فيها وليست قيماً ضيقة تعبر عن ثقافة خاصة، ومن شأن ذلك حصول هذه الدولة على النتائج التي ترجوها. كما أن القيم التي تعتقد فيها الدولة كالديمقراطية وحقوق الإنسان تضفي مزيداً من الشرعية على أهداف الدولة بما يساعد على تحقيقها. ولكن هذا لا يعني إغفال دور القوة الصلبة، فكلتاها وجهان لعملة واحدة، يرى ناي إن القوة الناعمة بنفس مستوى أهمية القوة الصلبة، ف كلا منهما يدعم إحداهما الآخر، فالقوة الصلبة تعد أساساً للقوة الناعمة حيث أنها تزيد من جاذبية الدولة، والقوة الناعمة توفر للقوة الصلبة غطاءً شرعية في عيون الآخرين وبالتالي تحسن من صورة الدولة وسياستها.

المطلب الثاني : الفرق بين القوة الناعمة والقوة الذكية.

إذا كانت القوة الصلبة تركز على الأداة العسكرية كمحور لها، فإن القوة الناعمة تتصرف إلى أدوات أخرى غير القوة العسكرية معتمدة على جاذبية النموذج وذكاء الفاعل، فالقيادة ليست مجرد قضية إصدار أوامر ونواهي، بل تنطوي أيضاً على القدوة واجتذاب الآخرين لعمل ما تريد، وان من الصعب إدارة منظمة كبيرة بالأوامر وحدها، بل تحتاج كذلك إلى جعل الآخرين يعتقدون قيم المنظمة وأهدافها عن طريق سياسة الترغيب. ولذلك يعلم تماماً القادة السياسيون في الدول الديمقراطية ان القوة التي تأتي من الجاذبية والإقناع لن تدفعني لاستخدم العنف لتنفيذ الهدف، بينما القادة في البلدان الديكتاتورية يلجؤون إلى أسلوب الإكراه والقمع لتنفيذ غايتهم. لذلك يعمل امتلاك القدرة على ترسيخ التفضيلات وربطها بالثقافة والمؤسسات والقيم السياسية و الشخصية الجذابة والسياسات التي يراها الآخرون مشروعاً أو أخلاقية سيسهل عملية القيادة ويجعلها أقل كلفة.

فكلا من القوتين تعتمد على التأثير بالآخر، فالقوة الصلبة تعتمد على التأثير بالتهديد والضغط على الطرف الآخر ولكن القوة الناعمة تعتمد على أكثر من التأثير أو مجرد الإقناع أو القدرة على استمالة الناس بالحجة، بل تعتمد أيضاً على القدرة على الجذب، والجذب كثيراً ينتج عنه الإذعان، ومن هنا ممكن نعرف القوة الناعمة من خلال السلوك بأنها تعني القوة الجذابة.

العلاقة بين القوتين الناعمة والصلبة

القوة الناعمة لا تستطيع أن تعمل وحدها فهي بحاجة دائمة لوجود القوة الصلبة فلا يمكن التسليم بأن هناك فواصل جامدة بينهم بل يتداخلان بشدة. فكلاهما من جوانب قدرة المرء على تحقيق أغراضه بالتأثير على سلوك الآخرين، وما يميز بينهما هو الدرجة في طبيعة السلوك وفي كون الموارد ملموسة أم لا. فالقوة الأمرة تركز على الإرغام أو على الإغراء، أما قوة التعاون الطوعي هي القدرة على تشكيل ما يريده الآخرون، وايضا تركز على جاذبية ثقافة المرء وقيمه أو مقدرته على التلاعب بأولويات الخيارات السياسية بطريقة تجعل الآخرين يعجزون عن التعبير عن بعض التفضيلات. وتميل موارد القوة الناعمة إلى الارتباط مع طرف التعاون الطوعي، بينما ترتبط موارد القوة الصلبة في العادة مع السلوك الأمر ولكن العلاقة غير كاملة تجد الحكومات أن من الصعب السيطرة على القوة الناعمة واستخدامها أحيانا، ولكن ذلك لا يقلل أهميتها.

القوة الناعمة حقيقة سياسية واقعية، حيث وصف الكاتب السياسي البريطاني "كار" القوة الدولية بثلاث فئات هي "القوة العسكرية والاقتصادية والسيطرة على الرأي"¹⁸، وترتكز القوة الناعمة لدولة ما على ثلاثة موارد، هي: الثقافة والتي تساهم في أسر فكر الشعوب الأخرى، والقيم السياسية (خاصة عند تطبيقها بشكل جيد على المستوى الداخلي والخارجي)، والسياسة الخارجية عندما تتسم بالمشروعية وذات سلطة معنوية أخلاقية في نظر شعوب البلدان الأخرى.

عندما تحتوي ثقافة بلد ما على قيم عالمية وتروج سياساته قيما ومصالح يشاركه فيها الآخرون، فإنه يزيد من إمكانية حصوله على النتائج المرغوبة بسبب علاقاته التي يخلقها من الجاذبية. فالقيم الضيقة والثقافات المحدودة يقل احتمال إنتاجها للقوة الناعمة. ولقد أشار المحرر الصحفي الألماني جوزيف جوف إلى أن "قوة أميركا الناعمة أعظم حتى من أصولها وموجوداتها الاقتصادية والعسكرية، أن ثقافة الولايات المتحدة الراقية منها أو المتواضعة قادرة على التأثير في المجتمعات والشعوب بما تمتلكه من عناصر قوة". إن أكثر ميادين القوة الناعمة أهمية هي

¹⁸ لاحظ" برنار كوشنير Bernard Kouchne "وزير الخارجية الفرنسي الأسبق، إن الأمريكيين أقوياء لأنهم يستطيعون" الهام أحلام الآخرين ورغباتهم بفضل إتقانهم للصور العالمية عن طريق الأفلام والتلفزيون، ونظرا لأن أعدادا كبيرة من الطلبة من بلدان أخرى يأتون إلى الولايات المتحدة لاستكمال دراستهم لهذه الأسباب نفسها". للمزيد برجاء الرجوع

الثقافية والسياسية والاجتماعية، إلا أن أساليب القوة الناعمة لا تبقى دائما هي نفسها، بل تتبدل حسب الظروف والمعطيات وتطور القناعات والأذواق.

وتعتمد القوى الدولية إلى المزوجة بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، فمن أجل كسب السلام، فمثلا يتعين على الولايات المتحدة الأمريكية أن تحقق نجاحا ملموسا في ممارسة القوة الناعمة، كما أظهرت تميز في ممارسة القوة الصلبة، لكسب الحرب ضد الإرهاب، وعليه فإن المزج بين القوتين نتج عنه ما يطلق عليه القوة الذكية أو الهجينة.¹⁹

مفهوم القوة الذكية وشروطها:

مفهوم القوة الذكية ليس مفهوماً جديداً أو مبتكراً، إنما هو مفهوم قائم على الجمع بين القوة الصلبة والقوة الناعمة بحيث تشكل إطارا مناسباً لمعالجة تهديدات اليوم غير التقليدية، فهي ليست كالقوة الصلبة ولا الناعمة لكنها مزيج من كلاهما وتعني "تطوير استراتيجية متكاملة تستند إلى قاعدة من الموارد وإلى مجموعة من الأدوات للوصول إلى الأهداف من خلال القوتين الصلبة والناعمة في آن واحد". كما عرفها ارنست ويلسون القوة الذكية على أنها "قدرة الفاعل الدولي على مزج عناصر القوة الصلبة والقوة الناعمة بطريقة تضمن تدعيم تحقيق أهداف الفاعل الدولي بكفاءة وفعالية"²⁰ وضع لنا هذا التعريف عدة شروط يجب توافرها لتحقيق القوة الذكية :

1. معرفة الهدف من ممارسة القوة، وعلى من يصلح ومن والشعوب والمناطق المستهدفة من هذه القوة.
2. امتلاك عنصرى الإرادة والقدرة على تحقيق القوة.

¹⁹ قدم جوزيف ناي مفهوم القوة الذكية في ٢٠٠٣ كرد فعل على أن القوة الناعمة تمتلك القدرة لتحقيق أهداف السياسة الخارجية وحدها، وهذا لا يصح وأنه يجب تطوير المفهوم ليشمل القوة الناعمة والقوة الصلبة معاً. ليكون أكثر مواكبة لتطورات الدولية المختلفة، لأنه لا يمكن الاستغناء عن أي من القوتين، خاصة بعد ظهور بعض الفواعل غير الدولية التي استطاعت أن تدمج بين القوتين الناعمة والصلبة. كما ان تغير طبيعة النظام الدولي وقضاياها و تغير طبيعة السكان والشعوب والحاجة إلى استهدافهم بما يتناسب مع هذا التغير.

²⁰ Ernest J. Wilson, III, "Hard Power, Soft Power, Smart Power", Annals of the American Academy of Political and Social Science, Vol. 616, Public Diplomacy in a Changing World (Mar. 2008), pp. 110-124, Published by: Sage Publications, Inc. in association with the American Academy of Political and Social Science, Article Stable, p. 112-114.

<http://www.ernestjwilson.com/uploads/Hard%20Power,%20Soft%20Power,%20Smart%20Power.pdf>

٣. السياق الإقليمي والدولي الذي سيتم في نطاقه تحقيق الأهداف.

٤. كيفية توظيف الأدوات والوقت لتحقيق الأهداف المرجوة.

فالقوة الذكية ليس فقط امتلاك المصادر الناعمة والصلبة والمزج بينهما بل القدرة على تحديد وقت استخدامها وأي نوعي القوة يفضل استخدامه في الموقف والقدرة على تحديد متى يتم الدمج بينهما وكيف يتم الدمج. وعليه أن القوتين الصلبة والناعمة تعزز كل منهما الأخرى أحيانا وتتداخلان فيها أحيانا أخرى. فالدولة التي تحاول كسب الشعبية قد تلجأ أحيانا إلى ممارسة قوتها الصلبة عندما تجد نفسها مرغمة على ذلك. ولكن البلد الذي يتأرجح بين القوة الصلبة والناعمة دون اعتبار لأثر ذلك على قوته الناعمة، ومن الطبيعي أن يواجه تحديات وتأثيرات للحد من ممارسة القوة^{٢١}.

وعبر عصور التاريخ كلها، كثيرا ما كانت الدول الأضعف تتشارك معا كي تحدث توازنا يحد من قوة دولة أقوى منها تهددها ولكن ليس دائما، ففي بعض الأحيان كانت الدول الضعيفة تتجذب للانضمام إلى الموكب الذي تقوده دوله قوية، وخاصة عندما لا يكون أمامها خيار، أو عندما تكون القوه العسكرية للبلد الكبير مرتبطة بقوة ناعمة. لذلك ليس هناك وصفة سحرية لتطبيق القوة الذكية ولم يحدد ناي استراتيجية محددة لخلق القوة الذكية وإنما وفقا للشروط السابقة يستطيع كل فاعل أن يحدد استراتيجيته ويرسم خطوطها الأساسية وفقا لشروط السابقة، وهو ما أسماه ناي (Grand Strategy) أو استراتيجية كبري تجمع بين أدوات القوة الناعمة والصلبة وتمثل القيادة السياسية والموقف الشعبي.

تواجه القوة الذكية بعض التحديات التي تقف أمام تحقيقها، قدمها (أرنست ويلسون) في دراسته عن القوة الذكية وهي^{٢٢}:

^{٢١} يماني سليمان، القوة الذكية المفهوم والابعاد دراسة تأصيلية، (اسطنبول : المعهد المصري للدراسات الاستراتيجية، ٢٠١٦) ص ص ١٩ :

^{٢٢} Ernest J. Wilson ,P.116

أولا - التحدي المؤسسي:

وهو يتمثل في الفجوة القائمة بين مؤسسات القوة الصلبة المتمثلة في المؤسسة التي تعتمد على استخدام الإكراه والإجبار وبين مؤسسات القوة الناعمة التي قد تدخل ضمن ميزانية الدولة في صورة لا تعطى وزنها الحقيقي. ولا يمكن إنكار مدى ثبات وقوة حجم ميزانية مؤسسات القوة الصلبة في مقابل مؤسسات لقوة الناعمة، هذا الفارق بين القوتين ينتج عنه تعقيدات كثيرة يؤثر بالسلب على أداء المؤسسات وبالتالي أداء القوة الذكية. تعبير آخر أن مؤسسات القوة الناعمة تكون خاضعة إلى حد ما لمؤسسات القوة الصلبة ورغبة القيادة السياسية للدولة التي قد تحدد ما يفعل أو ما لا يفعل على صعيد القوة الناعمة .

ثانيا- التحدي السياسي:

القوة الذكية تحتاج إلى قوة سياسية وإرادة من القيادة لتحقيقها. فالجانب المؤسسي يعتمد في إصلاحه بالأساس على قيادة تسعى لإحداث التوازن السياسي بين القوة الناعمة والقوة الصلبة، فأنصار القوة الصلبة ومؤيديها أكثر قوة وحجماً وتمثيلاً من أنصار القوة الناعمة وهذا لا يقتصر على النخبة السياسية للدولة بل يمتد للأفراد وتأييدهم لها. فالناخبون السياسيون عندما يختارون ممثل لهم فهم يفضلون القوة الصلبة المرئية والملموسة رمزاً لقوة، أما أنصار القوة الناعمة يقتصر المؤيدين لهم على فئات الأكاديميين والدبلوماسيين السابقين فلا يوجد قوة شعبية توازن تلك التي تمتلكها القوة الصلبة.

وتعتبر الحرب على العراق عام نموذجاً عن تفاعل القوة بشكلها الصلب والناعم. فقد كانت معظم، إن لم تكن كل جوانب تلك الحرب، مبنية على الأثر الرادع للقوة الصلبة، ويقول رمسفيلد: (ينظر العالم إلى الولايات المتحدة على أنها نمر من ورق، وعملق ضعيف عاجز عن تحقيق انتصارات عسكرية على مستوى العالم، لذا عمل على تغيير هذه الصورة السلبية عن الولايات المتحدة من خلال انتصار أميركا في حرب الخليج الأولى وانطلاق عملية السلام في الشرق الأوسط من خلال مؤتمر مدريد عام م بالإضافة إلى الحرب على أفغانستان فإن لها تأثير كبير في تغيير هذه الصورة). كانت هذه دوافع استخدام القوة الصلبة للاحتلال الأمريكي للعراق، ولكن كانت هناك مجموعة أخرى من الدوافع لها علاقة بالقوة الناعمة. الا وهي ان القوة الأميركية يمكن استخدامها في تصدير الديمقراطية إلى العراق، وفي تحويل سياسة الشرق الأوسط فإذا نجحت الحرب فإن نجاحها نفسه سيجعلها مشروعة، وكما قال وليام كريستول ولورانس كابلان" ما هو وجه الخطأ في فرض السيطرة لخدمة أهداف سليمة و مثل عليا؟".

وعليه يمكن القول، أن الدول تحتاج في حالات معينة إلى كل من القوتين الصلبة والناعمة، فلا يمكن الاستغناء عن أي منهما، خاصة مع التطورات والمتغيرات الجديدة في العلاقات الدولية، فإن دور القوة الناعمة سوف يزداد ولا سيما في عصر المعلوماتية، لأنها تركز على المصادقية. فالدول ذات المكانة الجيدة في عصر المعلومات والعلومة، سوف يتحسن أدائها ما دامت لديها موارد القوة الناعمة.

فالقوة الذكية تعني وضع استراتيجية متكاملة لموارد دولة من أجل تحقيق أهدافها، وهو النهج الذي يؤكد على ضرورة وجود قوة عسكرية واقتصادية، ولكن تهتم أيضا بالقيم والثقافة والشراكة والتعاون والشرعية والمؤسسات، ويشير النموذج التالي إلى أساسيات كل من القوة الناعمة والقوة الصلبة، فالقوة الناعمة تعتمد على الجاذبية والقدرة على التأثير باستخدام أساليب وأدوات ثقافية والتأثير على القيم والسياسات والمؤسسات الحكومية والخاصة، في حين تعتمد القوة الصلبة على الإكراه والإغراء من خلال المدفوعات والقوة العسكرية والعقوبات الاقتصادية والرشاوى.

المطلب الثالث: القوة الإلكترونية وتفاعلات الدولية

بسبب حدوث ثورة المعلوماتية كبيرة، ومع ظهور الإنترنت ومواقع الويب أصبح الفضاء الإلكتروني أحد العناصر الرئيسية التي تؤثر في النظام الدولي بما يحمل من أدوات تكنولوجيا تلعب دوراً مهماً في عملية التعبئة والحشد في العالم، فضلاً عن التأثير في القيم السياسية وأشكال القوة المختلفة سواء كانت صلبة أو ناعمة.

مفهوم القوة الإلكترونية:

يعرفها دانيال كويل على أنها " القدرة على استخدام الإنترنت لخلق مزايا والتأثير على الأحداث في البيئات التشغيلية كافة من خلال أدوات القوة"²³، بينما عرف جوزيف ناي القوة الإلكترونية بأنها " القوة التي تعتمد على مصادر المعلومات والسيطرة على الأنشطة الإلكترونية والحواشيب والبنية التحتية المعلوماتية ذات الصلة بالفضاء الإلكتروني

²³ Daniel T. Kuehl, "From Cyber Space to Cyber Power: Defining the Problems" ,in Cyber Power and National Security ,edited by Franklin D. Kramer ,Stuart Starr ,and Larry K. Wentz (Washington ,DC: National Defense University ,2009): 16.

"^{٢٤}، أو "القدرة على الحصول على النتائج المرجوة، من خلال استخدام مصادر المعلومات المرتبطة إلكترونيا بالميدان المعلوماتي"

مفهوم الفضاء الإلكتروني:

يمكن تعريفه على أنه "تلك البيئة الافتراضية التي تعمل بها المعلومات الإلكترونية، والتي تتصل عن طريق شبكات الكمبيوتر"، كما عرفه والتر شارب، في كتابه الفضاء الإلكتروني واستخدام القوة هو "البيئة التي نشأت نتيجة التقاء الشبكات التعاونية من أجهزة الكمبيوتر، ونظم المعلومات، والبنية التحتية للاتصالات ويمكن اختزاله في الإنترنت "World Wide Web".

طور جوزيف ناي مفهوم القوة وجعلها أكثر ارتباطا بامتلاك المعرفة التكنولوجية، والقدرة على استخدامها. وذلك من خلال استغلال الفضاء الإلكتروني لتأثير في الاحداث التي تجري عبر البيئات التشغيلية Operational Environments، مستعيناً بأدوات القوة المختلفة سواء كان عسكرية أو اقتصادية أو دبلوماسية أو معلوماتية، وقد حدد ناي ثلاثة أنواع من الفاعلين الذين يمتلكون القوة الإلكترونية وهم الدول و الفاعلين من غير الدول والأفراد، حدد ناي أنماط استخدام القوة الإلكترونية، وميز بين استخدامها الناعم والصلب، كما سيتم توضيحه^{٢٥}:

(١) القوة الإلكترونية واستخدامها بشكلها الصلب:

يتم الاستعانة بها لتأثير في سلوكيات الفاعل الدولي، ودفعه للقيام بأفعال لم يكن ليقوم بها من قبل، عن طريق نشر الفيروسات التي تستهدف أنظمة الدول الأخرى، أو حرمانها من استخدام الانترنت. كما تستخدم لتحكم في ترتيب أولويات الفواعل الأخرى، كما حدث من الولايات المتحدة الأمريكية باتخاذ عدة إجراءات ضد شركات بطاقات الائتمان لمنع ممارسة القمار عبر الإنترنت.

(٢) القوة الإلكترونية واستخدامها بشكلها الناعم:

²⁴ Joseph S. Nye ،Cyber Power (Cambridge: Harvard Kennedy School. Belfer Center for Science and (International Affairs ،2010): ٤

^{٢٥} إيهاب خليفة، القوة الإلكترونية أبعاد التحول في خصائص القوة، سلسلة أوراق، مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، ٢٠١٤، ص

يمكن استخدامها كوسيلة للتأثير في سلوك الفاعلين، مثل استخدام موقع اليوتيوب لكسر حاجز التعقيم التي تفرضه الأنظمة الديكتاتورية لإخفاء انتهاكها لحقوق مواطنيها. كما تستخدم لإدارة العمليات النفسية والتأثير في الرأي العام، وهذا لا يقتصر على وجهة النظر الرسمية للدول والحكومات، بل تعدي ذلك لدور الأفراد في إنتاج المعلومات وترويجها، وفي توافر كم هائل للتحليلات السياسية والاقتصادية مع تعدي الحدود الدولية وشكل ذلك ثورة معلوماتية هائلة لا حدود لها^{٢٦}. ساهمت القوة الالكترونية في إبراز أهمية دور الصورة في تحريك الأحداث الدولية ومثال على ذلك حالة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول وهو ما أثر في احتجاجات دولية واعتداءات وعلى طبيعة العلاقات الدولية.

ويمثل **النموذج الإيراني** نموذجا مثاليا لتجسيد دور القوة الالكترونية بشقيها الناعم والصلب^{٢٧}، فقد تم استخدام القوة الالكترونية في إطار المواجهة بين إيران وإسرائيل والولايات المتحدة والتي منها استخدامها في تحريك القوه الناعمة داخل إيران بدعم الاحتجاجات في عام ٢٠٠٩، وتقديم دعم فني للمعارضة عقب الانتخابات الرئاسية. كما قامت الولايات المتحدة بتزويد الإيرانيين بالمعلومات حول التآشيرات عبر الإنترنت عن طريق السفارة الالكترونية عام ٢٠١١، مما سهل التواصل مع الطلاب الإيرانيين وهو ما يلائم عملية قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة منذ ثلاثين عاما. مما دفع إيران إلى حجب موقع السفارة وتجريم محاولة الدخول عليها لأنه يمثل تهديدا شديدا للأمن القومي لديها.

هذا بالإضافة إلى الهجمات التخريبية التي تعرض لها البرنامج النووي الإيراني من أجل تعطيله ١٧ فبراير ٢٠١٢، حين أعلنت الاستخبارات الإيرانية أن فيروس "ستاكس نت" أصاب ما يقدر ١٦٠٠٠ جهاز كمبيوتر. وذلك بعد أن تعرضت لهجوم ثالث عبر "فيروس دوكو" بعد فيروس "ستاكس نت" في أكتوبر ٢٠١٠ وفيروس "ستار" في أبريل

^{٢٦} عادل عبد الصادق، "أنماط الحرب السيبرانية" وتداعياتها على الأمن العالمي"، مجلة السياسة الدولية، ٢٠١٧/٥/١٤

<http://www.siyassa.org.eg/News/12072.aspx>

^{٢٧} عادل عبد الصادق، "الإنترنت والدبلوماسية ومعركة القوة الناعمة بين الولايات المتحدة وإيران"، مختارات إيرانية، مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، نوفمبر ٢٠١١.

٢٠١١، و تبنت إسرائيل شن هجمات ستاكس نت بالتعاون مع الولايات المتحدة للعمل على تعطيل المنشآت النووية ويمثل ذلك جزءا من منصة لإطلاق الفيروسات الخطرة، تم تطويرها عام ٢٠٠٧ وتمت تجربته في إسرائيل^{٢٨}. ويتنامى دور الفضاء الإلكتروني في منطقة الشرق الأوسط والتي كان من أبرزها نشاط أقمار التجسس وقيام الموساد الإسرائيلي باختراق أجهزة ونظم الاتصالات في مصر ولبنان وسوريا والعديد من الدول العربية، خاصة مع وجود بعض خدمات لأجهزة اتصالات لا تستطيع الدول السيطرة على قاعدة البيانات الخاصة بها مثل الأزمة التي فجرها "جهاز بلاك بيرى والآيفون إلى جانب التجسس عبر الأقمار الصناعية. بالإضافة إلى تنامي ظاهرة القرصنة الإلكترونية ما بين نشطاء عرب وإسرائيل، مثل قيام "أكس عمر" X Omar باختراق وسرقة ٢٠ الف بطاقة ائتمان إسرائيلية فضلا عن اختراق مواقع حكومية واقتصادية في إسرائيل^{٢٩}، وهو ما دفع وزير الخارجية الإسرائيلية على اعتباره هجوما مسلحا بما قد يستعدي الرد عسكريا وهو ما دفع إسرائيليين لقرصنه حسابات مواطنين عرب على الفيس بوك. كما برز دور جماعات دولية للقرصنة للتعبير عن مواقف سياسية مثل جماعة "ويكيليكس" و"أنونيموس" التي أصبحت تهدد شركات ودول بالاختراق وكان منها قيامها بهجمات على مواقع حكومية سورية.

خاتمة:

إن أشكال القوة تغيرت وفقا لتطور التكنولوجيا والمعلومات، فقد أعاد الفضاء الإلكتروني تشكيل مفهوم القوة، ليدشن لنا مفهوم القوة الإلكترونية التي ساهمت في إبراز دور الفاعلون الجدد من غير الدول، مما هدد دور الدول وقلل من سيادتها وحفاظها على أنظمتها السياسية وأمنها القومي. ولم يتوقف الامر على هذا بل أدى التطور التكنولوجي لظهور أسلحة جديدة صغيرة الحجم قادرة على هدم أنظمة وبناء غيرها. بالإضافة إلى كم

²⁸ William. J. BROAD ،JOHN MARKOFF and DAVID E. SANGER" ،Israeli Test on Worm Called Crucial in Iran Nuclear Delay ، "the New York times، ١٥January٢٠١١

https://www.nytimes.com/2011/01/16/world/middleeast/16stuxnet.html?_r=1&pagewanted=all

^{٢٩} عادل عبد الصادق، " القوة الإلكترونية: أسلحة الانتشار الشامل في عصر الفضاء الإلكتروني"، المركز العربي لإبحاث الفضاء الإلكتروني،

دورية قضايا استراتيجية، ٢٢ أكتوبر ٢٠١٢

http://www.acronline.com/article_detail.aspx?id=4747

الخسائر الاقتصادية والسياسية الناتجة عنها، ولنا في ثورات الربيع العربي نموذج. كما لم تعد القوة قاصرة على دول أو أنظمة بل تخطت لتصل إلى الافراد، فالقوة الالكترونية لا تعترف بنوع أو عمر أو مكان، فهي تصل للجميع وتزيد من الوعي السياسي وتحفز على المشاركة السياسية. وعلى الرغم من أهميتها في محاربة النظم الديكتاتورية ومواجهة الارهاب الدولي أحياناً، إلا أنها تحتاج إلى قوانين وأطر لتقنينها وحماية الأمن القومي والدولي لمختلف الفواعل الدولية (٣٠).



(٣٠) الآراء الواردة تعبر عن كتابها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المعهد المصري للدراسات